من الأدب الايطالى :

ذلك الرجـــل !!

للشاعر الايطالى جبريل دانونزيو

بقلم الأديب محمد فتحى عبد الوهاب

كان قصير القامة ممشوقها ، تنوء رقبته برأس ضخم يميل قليلا إلى اليسار ، وقد اكتسى هذا الرأس غابة كثيفة من الشعر الكستنائى المسترسل إلى كتفيه فى تجعدات والتواءات ، تُلعب به الريح لعبها بعرف الجواد ، ولحية كثة كلحية المتقشفين ، تركها دون تهذيب وقد تراكمت عليها ندف صغيرة من القش . وكانت عيناه تتطلعان دائماً إلى موقع قدميه العاريتين ، حتى إذا ما رفعهما ظهر فيهما الغموض والابهام ، ولاح فيهما الرعب ، أو بدتا كما لو كانتا عينى مخبول تارة ، أو رجل محموم تارة أخرى . أو تشهد فيهما ما يجعلك تفكر فى الماء الأخضر الآسن الراكد فى حفرة ضيقة ، أو فى وميض السيف اللامع .

كان يرتدى سترة قديمة حمراء ، قد ألقى بها على كتفيه كأنها المعطف . وكان الناس يروون عنه شتى الأقاصيص ، ويتحدثون عن حب ، وخيانة ، واعتداء ، وهروب ...

كنت فى سن الثالثة عشرة عند ما قابلته أول مرة ، فجذبنى منظره . وكان ذلك فى يوم من أيام الصيف الحارة والميدان الكبير تغمره الشمس ، وقد أقفر إلا من بعض الكلاب تتسكع هنا وهناك ، والسكون مخيم على المكان ، اللهم إلا من ذلك الصرير المعل لعجلة السنان . وكنت قد اعتدت الوقوف برهة أراقب ذلك الرجل من خلف مصراعى نافذة غرفتى ، فأراه يسير فى بطء تحت شمس الظهيرة ، يختال فى جومن العظمة ، أو يزحف قرب الكلاب فى هدوء حتى لا تلاحظه ، ويلتقط حجراً يقذفها به فى خفة ثم يهرب متظاهراً بأنه شىء غير منظور ، فتقبل عليه الكلاب وتلتف حوله وهى تهصبص بأذنابها ، فينظر إليها ثم ينفجر ضاحكا ضحكات قصيرة صبيانية فأشاركه ضحكه .

وفى ذات يوم تمالكت شجاعتى ، وأطللت برأسى من النافذة ثم ناديته . فالتفت إلى فى سرعة ثم ابتسم ، والتقطت زهرة من الأصيص قذفت بها إليه ، ومنذ ذلك الحين أصبحنا صديقين .

وفى مساء يوم سبت كنت واقفاً على الجسر وحيداً أراقب حركة أسطول الصيادين وهو راجع من الصيد . كانت شمس يوليو البديعة تغرب ، وقد احمرت السماء بالسحب الذهبية ، وتوهج النهر الجارى صوب البحر وارتعشت أمواجه فى تلألؤ زاه . وكانت الضفاف تحت المضبات تلقى ظلها على الماء فتنعكس الأشجار ، وتظهر قممها كأنها نائمة على صفحه الماء فى ذلك الجو الحار . وجعلت القوارب تلقى مراسيها فى بطء وقد طوت أشرعتها البرتقالية الكبيرة ذات الخطوط الزخرفية السوداء . وابتدأت تفرغ حمولتها من السمك . وسرت الريح تحمل أصوات النوتية ورائحة الصخور .

والتفت فجأة ورائى فرأيت الرجل واقفاً يتصبب عرقاً ، وقد أخفى يده اليمنى وراء ظهره ، وأضاءت فمه ابتسامته الصبيانية المعهودة . فصحت أهتف باسمه وأنا أمد يدى المتخاذلة إليه فى سرور . وتقدم نحوى وقدم إلى بيده التى كان يخفيها باقة أنيقة من الخشخاش الأحمر وسنابل القمح الذهبية . فصحت وأنا أتناولها منه « أشكرك ، أشكرك ، ما أجملها ... »

وسحب يده على حاجبيه ، وجعل يمسح العرق المتساقط ثم ينظر إلى أصابعه المبللة ثم إلى ، وأخيراً ضحك وقال « إن الخشخاش الأحمر ينمو بين القمح الأصفر هناك فى الحقول ، فرأيتها وأحضرتها لك فقلت لى » ما أجملها « وكانت الشمس هناك كالنار » .

كان يتكلم فى خنوع ، ويقف بين كل كلمة وأخرى كأنه يحاول أن يتبع خيط أفكاره . إن آلاف الصور المبهمة المضطربة كانت تتجمع فى ذهنه . فيحاول أن يبرزها ويثبت بائتين

أو ثلاثة منها ، تلك التي كانت أكثرها ثبوتاً وأوضحها صورة ، وتهرب منه الصور الباقية . كنت ألحظ ذلك في عينيه فأتعجب . وكأنه شعر بما يجول في خاطري ، فأدار رأسه صوب قوارب الصيد وقال وهو يفكر :

— هذا الشراع ، إنه شراعان ، واحد في الهواء ، وواحد في الماء .

كان لابد لك أن الشراع الأسفل انعكاس الشراع الأعلى على صفحة الماء . فجعلت أشرح له ذلك قدر امكاني ، فاستمع إلي في ذهول ، ثم ابتسم وتطلع إلى الأشرعة .

وسقطت زهرة من الخشخاش في النهر ، فراقبها حتى اختفت مع التيار ، ثم قال في صوت حزين لا يوصف « لقد رحلت بعيداً ، بعيداً جداً « وكأنها شيء عزيز لديه » .

وبعد لحظة من الصمت سألته « من أي قرية أتيت ؟ »

فالتفت صوب السماء يتطلع إلى صفاء لونها الزبرجدي . كانت الجبال القاتمة تظهر أمام الأفق كأنها جبار راقد . وامتد الجسر الحديدي فوق النهر يقطع السماء إلى صور صغيرة ، وظهرت خلفه الأشجار الخضراء وقد استحالت إلى أشباح قاتمة . واختلطت ضحكات الجنود في الثكنات بصوت البوق

وأخيراً قال « كان عندي منزل أبيض ، نعم كان كذلك ، تحفه حديقة كبيرة من الفواكه . لقد اعتادت تريزا أن تحضر في المساء . كانت جميلة ، إن عينيها ... ولكن ... »

وكف عن الكلام وقد ظهرت على هيئته الكآبة . ولكن سرعان ما عاد إلى هدوئه ، ثم انحنى لي ، وسار مبتعداً عني وهو يغني .

***

ومنذ ذلك الحين كنتُ كلما أراه يمر في الطريق أناديه وأجود له ببعض الطعام . وفي ذات مرة قدمت إليه القليل من النقود الذي أعطتني إياه والدتي ، فنظر إليّ في صرامة ، ثم دفع بها إلي في احتقار ظاهر ، وأخيراً أدار ظهره ومشى دون أن يلتفت إلي .

وفي ذلك المساء قابلته خارج الميناء الجديد ، فتقدمت إليه قائلا

— سامحني ، سامحني .

فهرب كأنه حيوان جافل ، وفي لحظة كان قد اختفى عن أنظاري بين الأشجار . ولكن في صباح اليوم التالي كان ينتظرني على باب داري ، وابتسم في شجاعة ، ثم قدم إلي باقة يانعة من زهور الرجريت . كانت عيناه محتقنتين بالدموع ، وشفتاه ترتعشان ... وعادت المياه إلى مجاريها .

وفي ذات مرة ، في أواخر شهر أغسطس ، كنا جالسين في نهاية الطريق وكانت الشمس قد توارت بالجبال . وقد امتدت أشجار الصنوبر حتى البحر ، وابتدأ القمر يرتفع في بطء في عنان السماء بين السحب القاتمة ...

ونظر إلى القمر ثم تمتم قائلا « انظر ! الآن تستطيع أن تراه .. تستطيع أن تراه »

وجعل يتأمله لحظة ثم قال « ذلك القمر ! إن له عينين وأنفاً وفماً كالبشر ، لست أدري ما الذي يفكر فيه . من يدري ؟ »

ثم جعل يدندن أغنية ذات لحن حزين ، من تلك الأغنيات التي يرتلها الأهلون عند قطف الكروم في ليالي الخريف الحارة . وكان يلوح لنا عن بعد مصباحا قطار قادم في سرعة ، فظهرا كأنهما عينا وحش تحدقان فينا . ومر القطار يهدر ويتعالى دخانه وصفيره عند عبوره الجسر الحديدي ، وعاد الصمت يخيم تدريجياً على الأرض الشاسعة .

ووقف الرجل على قدميه وصاح وهو يشير إلى القطار المبتعد « إذهب ، إذهب ، إذهب ، بعيداً ، بعيداً ، إنك تنساب كالتنين ، والنار في داخلك ، النار التي وضعها فيك الشيطان »

ولن أنسى ما حييت منظره وهو واقف في هذه اللحظة ... ولم يهدأ انفعاله الأبعد أن تلاشى صوت القطار وعاد الصمت يخيم على الطبيعة .

وعندما كنا في طريقنا إلى الدار كان لا يزال غارقا في أحلامه

* * *

وفي ذات صباح جميل من سبتمبر ذهبنا إلى البحر . إن ذلك الاتساع السرمدي للماء الأزرق العميق كان ممتدا حتى الأفق المتألق ، وكانت قوارب الصيد تبحر أزواجا ، فتظهر كأنها طيور هائلة الحجم مجهولة النوع ، قد نشرت أجنحتها الصفراء القرمزية . وكانت الهضاب الرملية النحاسية ترقد على طول الساحل خلفنا وقد لاحت من ورائها الكتل الضخمة الخضراء من مزروعات

شجر الصفصاف .

قال في صوت خافت وكأنه يخاطب نفسه في لهجة التعجب والشعور بالخوف « يا لهذا البحر الخضم الأزرق الضخم ! ويا لهذه الأسماك الضارية المفترسة ! أن (أركس) هناك سجين في قفص من حديد ، يصيح فلا يسمع أحد صيحاته . إنه لن يرجع ثانية . وهذه السفينة السابحة في الماء ، أنهـا تجلب الموت لكل من يشاهدها »

ثم صمت .. وأقبل على الشاطئ حتى غمرت الأمواج البيض الصغيرة قدميه . من يدري ما الذي كان يحدث داخل عقل هذا المسكين الضعيف ؟

وبينما نحن مقبلان على الدار وقد التزم الصمت طول الطريق نظرت إليه فأخبرني قلبي بأشياء غريبة .

وهمس أخيراً في صوت خافت وهو يأخذ بيدي « إن لك أما في منزلك تنتظر أوبتك لتقبلك » كانت الشمس تغرب في الماء الصافي خلف الجبال ، والنهر يتلألأ بشتى الانعكاسات .

فسألته والدموع تتساقط من عيني وأنت ، أين والدتك ؟ »

فنظر إلى عصفورين في الطريق ، والتقط حجراً سدده كأنه بندقية في يده ، ثم أطلقه عليهما ، فوليا كأنهما السهام .

وصاح وهو يراقب طيرانهما في السماء اللامعة وهو يضحك في صخب « طيرا .. طيرا .. »

* * *

ومرت الأيام فلاحظت فيه تغيراً ، كأنما أصابته الحمى . كان ينطلق مسرعا إلى الحقول كأنه الجواد حتى يقع على الأرض مبهور الأنفاس ، أو يرقد الساعات مفترش الثرى دون حراك يحدق بعينيه في وهج شمس الظهر المحرقة . وعندما يقبل المساء كان يلقي بمعطفه الأحمر على كتفيه ويتنزه جيئة وذهاباً في الميدان ، يختال في خطوات طويلة بطيئة كأنه عظيم اسباني . وكان يتحاشاني ، ولا يجلب لي الزهور . وتألمت لهذا الهجر . كان الناس يدعون بأنه سحرني . وفي ذات صباح ذهبت قاصداً لقياه . ولكنه لم يرفع عينيه ، بل احمر وجهه كأنما مسته نار . فصحت في اضطراب « ما الأمر ؟ »

— لا شيء .

— بل هناك شيء .

— لا شيء .

— هذا غير صحيح .

ولاحظت أنه ينظر أمامه بعينين متقدتين ، فالتفت ، فوجدته يتطلع إلى فتاة ريفية حسناء واقفة أمام مدخل حانوت

وتمتم وقد شحب لونه : « تريزا » ففهمت أن الرجل المسكين كان يتخيل في هذه الفتاة غادة بلدته التي أثرت على قواه العقلية

وبعد يومين قابلها في الميدان ، فاقترب منها مبتسما وهو يقول: « إنك أكثر جمالا من الشمس . فلطمته بقوة على وجهه

كان هناك بعض الصغار بالقرب منهما ، فجعلوا يسخرون منه بعد أن تركته الفتاة وحيداً مصدوما باهتا ، وابتدأت بقايا الخضر تطير فترتطم في وجهه . والتفت إلى الصبية ، وهدر كالثور الجريح ، ثم أمسـك بواحد منهم وألقاه على الأرض كأنه من الأسمال

* * *

ورأيته ، يمر أمام نافذتي بين أيدي اثنين من رجال الشرطة مقيداً ، والدم يسيل من لحيته منحنى الظهر ، مرتعش الجسد ، والناس من خلفه يضحكون ويسخرون . نظرت إليه فامتلأت عيناي بالدموع

وكان الحظ قد واتاه ، فإن الصبي لم يصب إلا بجروح يسيرة ، وخرج من السجن بعد يومين

مسكين ذلك الرجل ! كان قد تغير تغيراً تاماً وأصبح مكتئب الوجه لا يثق في أحد ، غضوبا وكنت أراه في بعض الأحيان ينفلت مساء في سرعة كبيرة كأنه الكلب ، ويختفي في طريق مظلم قذر

وفي ذات صباح مشرق الشمس صافي السماء من أكتوبر وجدوه على خط السكة الحديدية بجانب الجسر وقد تمزق إربا حتى أصبح كتلة دامية مشوهة من اللحم ، وانسحبت احدى ساقيه مع عجلات القطار الذي دهمه إلى مسافة بعيدة ، وظهرت عيناه الخضراوان في رأسه المقطوع الذقن المصبوغ الشعر بالدم القاني ، تحدقان في رعب هائل

مسكين ذلك الرجل ! كان يود أن يشاهد القطار عن قرب ، ولكنه كان يبتعد ثم يبتعد — كما كان يقول — ذلك الوحش الطويل ذلك التنين الذي بداخله النار التي وضعها الشيطان !

محمد فتحي عبد الوهاب

تاريخ الأدب العربي

للأستاذ الزيات

نفدت الطبعة العاشرة من هذا الكتاب

أما الطبعة التي تباع الآن في البلاد العربية

فاحترس منهــــا

انها الطبعة مزيفة فيها النقص والخطأ والتحريف

والتشويه زيفها أحد الكتبيين في القاهرة

انتظر الطبعة الحادية عشرة قريباً

طبعة أنيقة صحيحة فيها زيادات كثيرة

ولاسيما في العصرين العباسي والحديث

مبـــــــــادئ

في القضاء الشرعي

للأســـــتاذ الزين القاضي

كتاب يفيد القاضي والمحامي

وكل مشتغل بالحقوق والفقه

يقع في ٤٦٠ صفحة من القطع المتوسط

ويطلب في القاهرة من إدارة الرسالة ومن سائر المكاتب

ومن المنصورة من الأستاذ علي عبد الله

بمكتبة الشامي وثمنه ٣٠ قرشاً عدا البريد

سكك حديد الحـــــكومة المصرية

خط صحراء سيناء – القنطرة شرق – رفح

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه يسير الآن يومياً القطار رقم ٧٥٠ الذي يغادر القنطرة شرق في الساعة ١٥ ر ٢٣ ويصل إلى رفح في الساعة ٠٠ ر ٤ والقطار رقم ٧٥١ الذي يقوم من رفح في الساعة ٣٠ ر ١٣ ويصل إلى القنطرة شرق في الساعة ١٠ ر ١٨ .